المسيحية
بين التقليد الكنسي وتعاليم الكتاب المقدس
دراسة نقدية

د. أحمد محمد محمد زايد*

(*) أستاذ مشارك بقسم الدعوة و الثقافة الإسلامية – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر – دولة قطر.

ملخص البحث:

يعرض البحث مفهوم التقليد، وأصله الديني، وأهميته في الكنيسة، وعلاقته بكافة قضايا المسيحية العقدية والعبادية والتشريعية، ويناقش كذلك آثار التقليد في الديانة باعتبارها ديانة تقليد بالدرجة الأولى.

كما يعرض المذاهب والآراء والتوجهات الرافضة له؛ مبينة أن القول به تعطيل لعمل العقل وقواعد المنطق، كما أنه يتنافى مع مقتضى الدين المسيحي، ويبين برؤية نقدية بطلان القول بالتقليد، وأنه إنما قيل به لتجاوز معضلات علمية متعلقة بمضمون المسيحية من جهة، والبحث في أسانيد الأناجيل من جهة أخرى، إضافة إلى وجوه علمية أخرى تبطل القول به.

ويقارن البحث في إلماحة موجزة بين الكم الهائل من المعتقدات والتعبدات والرموز والطقوس والتراتيل والألحان التي تراكمت في الديانة وليس لها ورود في الكتاب المقدس،وإنما مصدر القول بها هو التقليد الكنسي، وبين ما جاء في الكتاب المقدس، مما يؤكد أنها ديانة بشرية في جملتها ؛ ولذا فإن دراسة موضوع التقليد يعد مدخلا مهما، وبعدا علميا ضروريا في فهم المسيحية.

مشكلة البحث:

في البحث الإسلامي للمسيحية قصور واضح في بعض الجوانب كلا أو جزءا، كما وكيفا، من أمثلة ذلك أننا نجد البحوث الإسلامية المتعلقة بمصادر المسيحية لا تعنى كثيراً ببحث مسألة «التقليد» على الرغم من مركزيته في الديانة المسيحية، فهي قائمة كلها تقريبا عليه ومنبثقة عنه، وقد لخص القديس أوغسطينوس هذه الحقيقة بقوله: « أؤمن بالإنجيل مسلَّما من الكنيسة، مشروحا من الآباء، معاشا في القديسين» تلك الكلمة المعبرة بقوة عما يعرف في النصرانية بالتقليد»[1].

فما «التقليد»؟، ولماذا التقليد؟ وما أثره في الديانة المسيحية؟ هذا ما تعالجه هذه الدراسة، التي تعد مدخلاً أساساً لدراسات لاحقة ذات اتصال وثيق بالتقليد، مثل

(١) مدارس النقد الكتابي حلمي القمص يعقوب، (٢/ ٢٦٠) من إصدارات كلية القديس أثناسيوس الرسولي الإكليركية – القاهرة، بدون.

دراسة علم الآبائيات «الباترولوجي»، ودراسة العلوم الكنسية اللازمة لفهم المسيحية، ومناهج التفسير والنقد للنصوص المقدسة في المسيحية، وغير ذلك من الجوانب المهجورة والحلقات الضعيفة في دراساتنا في مجال مقارنة الأديان وبخاصة في المجال المسيحي، والتي ستخرج إن شاء الله قريبا مكملة لهذه البداية.

منهج البحث:

اعتمدت في البحث مناهج ثلاثة:

١- المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع المسألة أصولا وفروعا في كتب القوم، ولم أخرج عن كتب النصارى مطلقا فيما يخص قضية البحث، ولم أنقل عمن نقل عنهم وإنما رجعت إلى كتبهم مباشرة؛ نظرا لخطورة القضية وأهميتها في مجال بحث المسيحية.

٢- المنهج الوصفي: حيث كان لازما تحديد مفهوم التقليد، وأهميته، وأدلته، وحدوده والشروط المتعلقة به، على الحالة التي يصورها القوم بألسنتهم.

٣- المنهج التحليلي والاستنباطي: حيث النظر في مقولات القوم والوقوف على حقيقة التقليد، والبحث في مدى منطقيته ومصداقيته، ولماذا القول بالتقليد، ثم بينت أثره في المسيحية.

الدراسات السابقة:

لم أقف في كتابات الباحثين المسلمين المختصين في «علم الأديان» على بحوث تعالج مسألة التقليد، اللهم إلا ورقات بعنوان «التقليد وتاريخ النص المقدس نظرة نقدية» للباحث: أيمن تركي. منشور في مجلة الدراسات الدينية، العدد الثاني جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ/ إبريل ٢٠١٥م، وهي مجلة الكترونية ربع سنوية تنشر على الشبكة العنكبوتية. والبحث صغير الحجم جدا تناول فيه بالنقد بعض جوانب التقليد دون توسع أو استيعاب، ولا يمكن الاعتماد على مثله في بحث مسألة التقليد.

وبعد الفراغ من البحث حصلت على نسخة من كتاب « الإنجيليون الأربعة بين التقليد والنقد الحديث» للدكتور/ عبد الرحمن جيرة التومي، وهو كتاب متميز يقع في ٢٢٤ صفحة، قصد فيه مناقشة مدى قانونية الأناجيل الأربعة وعلاقتها بالتقليد،

ومقاصد أخرى، ولم يتناول موضوع التقليد إلا في ست صفحات من الفصل الأول، كتمهيد لمقصده في الكتاب، لكن هذه الصفحات ليست كفيلة ببيان قضية كبرى كقضية التقليد التي قامت عليه الديانة قياما كاملا.

أما ما كتبه النصارى (الأرثوذوكس والكاثوليك) عن التقليد فكثير باعتباره القضية الكبرى في ديانتهم، وسيظهر ذلك في قائمة مراجع البحث، وقد كتب بعض البروتستانت عن التقليد كتابات رافضة فكرته مهاجمة إياه؛ لأنهم لا يعترفون به، كما كتب بعض الغربيين ممن أعملوا عقولهم من الأكاديميين الكاثوليك الذين اعتبروا أن القول به تعطيل لعمل العقل، وإهمال للمنطق والتفكير وقواعد العلم، كما سيظهر في ثنايا البحث.

بناء البحث:

رتبت البحث على مقدمة، وسبع مسائل، وهي:

المسألة الأولى: التقليد الكنسي تعريفه، ومادته، ومستنده الديني.

المسألة الثانية: أنواع التقليد الكنسي، وتطوره في تاريخ المسيحية.

المسألة الثالثة: شروط التقليد وفوائده.

المسألة الرابعة: وسائط نقل التقليد ودور الروح القدس في ذلك.

المسألة الخامسة: الرؤية الآبائية للتقليد، أو التقليد الكنسي في أقوال الآباء.

المسألة السادسة: التقليد الكنسي رؤية مغايرة.

المسألة السابعة: رؤية نقدية للتقليد.

وأسال الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

المسألة الأولى: التقليد الكنسي تعريفه، ومادته، ومستنده الديني

التقليد: مصطلح كنسي كبير تؤمن به الطائفتان الكاثوليكية والأرثوذوكسية، مع اختلاف بينهما في بعض المضامين، أما البروتستانتية فلا تؤمن بالتقليد ولا تعترف به. فما التقليد، وما مادته، وما مستنده وموقعه في مصدرية الديانة المسيحية؟ ولماذا يرفضه البروتستانت؟

أولا: تعريف التقليد:

بالبحث في مصادر الديانة المسيحية (وبخاصة الكاثوليكية والأرثوذوكسية)، نجد أنها تنقسم حسب كتبهم وشروحهم إلى نوعين من المصادر:

النوع الأول: الكتاب المقدس بقسميه (القديم والجديد) ويطلقون عليه «الوحي المكتوب».

النوع الثاني: التعاليم الشفوية غير المكتوبة، ويسمونها «التقليد».

ثم جاءت عبارات القوم بعد ذلك مؤكدة أن التقليد هو كل الديانة وكل الكنيسة، وأنه حاكم على كتابهم المقدس المكتوب، حتى إن بعضهم كتب فصلا بعنوان: «المسيحية ديانة تقليد»[1]، فمتى المسكين[2] يقدم لكتابه (التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي) قائلا: «والتقليد في الكنيسة الأرثوذوكسية ليس جزءا من تعالم الكنيسة أو صورة من صور حياتها، بل هو كل الكنيسة وكل حياتها، فهم يشمل إيمانها وتفسيرها للكلمة، وفكرها ولاهوتها، وروحانيتها، وأسرارها، وطقوسها، وقديسيها، في وحدة كاملة لا تتجزأ؛ لذلك فالتقليد في الكنيسة الأرثوذوكسية هو قوام شخصيتها الحية الذي يمدها بكل مميزات الحياة الإلهية»[3]، وينقل عن القديس إكليمندس الإسكندري قوله: « بأن

---

(١) بحث في التقليد المقدس، شنودة ماهر إسحاق، د. إميل ماهر (١٦) تقديم البابا شنودة، ط الخامسة – القاهرة ٢٠٠٠م

(٢) متى المسكين: راهب مسيحي قبطي مصري، (١٩١٩– ٢٠٠٦م)، له مائة وثمانون كتابا في المسيحية في قضاياها المختلفة وترجم بعضها إلى لغات عدة. انظر:
http://www.fathermatta.com/arabic/index.php

(٣) التقليد وأهميته في التقليد المسيحي كمدخل لفهم الأسرار وشرح الأسفار، متى المسكين (٧) ط الرابعة – ٢٠٠٨م– مطبعة دير أنبا مقار– وادي النطرون، مصر.

الذي يزدري التقليد الكنسي لا يعود يحسب من أولاد الله»[1].

ويحظى التقليد بعناية تفوق أي عناية أخرى بالمسائل الدينية عند النصارى، وبدهي أن يرد السؤال لِمَ كل هذه العناية بقضية التقليد؟ ولماذا تتواتر المواعظ والدروس الكنسية للشعب المسيحي حول أهميته ومركزيته في الديانة بصورة دائمة في جميع الكنائس والتجمعات؟

وقفة مع تعريف التقليد:

قبل الشروع في بحث تضاعيف القضية وخباياها، يجدر بنا أن نعرِّف بمصطلح «التقليد» في اللغة، ثم نورد تعريفاته الاصطلاحية حسب معتقد القوم.

التقليد لغة:

حسب ابن منظور في اللسان يطلق بتصريفات، ويراد بكل تصريف معنى حسب سياقه، نختار منها المعاني الآتية:

قلد الماء في الحوض واللبن في السقاء والسمن في النَّحي يَقلِده قَلدا: جمعه فيه... والإقليد: المفتاح، والمقلاد: الخزانة، والقلادة: ما جعل في العنق يكون للإنسان والفرس والكلب والبدنة التي تهدى ونحوها،... وقَلَّدَه الأمر: ألزمه إياه،... وتقلد الأمر: احتمله[2].

والتقليد في النظر اللغوي: قد يكون في معنى حسي أو معنوي، فمن الحسي وضع القلادة للإنسان والفرس ونحو ذلك، فالقلادة هنا توضع محيطة بعنق من تقلدها، وأما المعنوي كتقليد المسئولين كالولاة والأمراء مسئوليتهم فكأنها أحاطت بأعناقهم خطورةً وأمانة.

والتقليد في سياقنا البحثي إنما هو غالب في الجانب المعنوي النظري، كما سيظهر فيما يأتي.

التقليد في الاصطلاح الكنسي المسيحي:

يقول القس إنجليوس جرجس: «هذه الكلمة في الإنجليزية تأتي بمعنى

---

(١) التقليد وأهميته في التقليد المسيحي (٣٥).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور المصري، (١٢/ ١٧٢- ١٧٣).

Tradition، وباليونانية Paradises،(بارادوسيس)، والمعنى المباشر والحرفي هو التسليم من يد إلى يد، والاصطلاح الكنسي يعني: ما تسلمناه من الرسل إلى الآباء، وهي ما يخص الإيمان والأمور التنظيمية والترتيبات الكنسية الخاصة بالعبادة الجماعية وخلاص المؤمنين»[١]، ويضيف خرستوذوس أن كلمة Paradises لا تعني المحاكاة Imitation إنما جاءت مشتقة من الفعل الأصل Paradidomi الذي: «يعني يعهد بشيء لآخر»، أو «يسلم شيئا يدا بيد»، والفعل المقابل والملازم هو paralambano أي: يتقبل الشيء، أو يتسلمه، واللفظان اليونانيان الأسبقان يقابلهما في العبرية التعبيران Nasar أو يودع أو يسلم، Qibbel أي يقبل الشيء أو يتسلمه، بهذا فإن التقليد لا يعني مجرد محاكاة الماضي، بل حسبما جاء في الكتاب المقدس: هو تسليم وديعة واستلامها، جيل يودع إيمانا وآخر يتقبله»[٢].

والتقليد بعبارة أوضح حسب تعريف الأنبا شنودة: « هو كل تعليم وصل إلينا عن طريق التسليم الرسولي والآبائي، غير الكلام الذي ترك لنا في الكتاب المقدس، في موضوعات ربما لم تذكر في الكتاب، ولكنها لا تتعارض معه في شيء ما»[٣].

وفي تعريف آخر هو: « الترتيبات والنظم التي توضح تفاصيل العبادة وطقوسها على مثال ما عمل الرسل والآباء»[٤].

وعندما تناول متى المسكين مفهوم التقليد اعتبره أصلا قبل الإنجيل، فهو أعم منه والإنجيل داخل ضمنه، فقال: « أما التقليد كله فهو ما كتب في الإنجيل وما احتفظ به من التعاليم والفرائض».[٥]

فالتقليد إذن حسب المصادر: «هو كل تعليم مرئي أو مسموع وحيٍّ تسلمته الكنيسة من الرسل والقديسين»، وهو أقدم من وجود الكتاب المقدس بحسب الأنبا

---

(١) التقليد للقس إنجليوس جرجس (١٠) ط الثانية – مطبعة سانت ماري –٢٠٠٣ م، القاهرة.
(٢) التقليد والأرثوذوكسية، للأب تادرس يعقوب ملطي، (٢).
(٣) اللاهوت المقارن الأنبا شنودة (١/ ٥١) ط الثانية مطبعة الأنبا رويس – ١٩٩٢م، القاهرة.
(٤) التقليد الكنسي، للقمص زكريا بطرس، (٣).
(٥) التقليد وأهميته (٩) سابق.

شنودة إذ يقرر أن «التقليد أقدم من الكتاب، يرجع إلى أيام أبينا آدم»[1].

يعني كل ما تسلمه النصارى مما ليس جزءا من الوحي المكتوب، وقد يكون مكتوبا في غير الكتاب المقدس، ثم بالغوا فاعتبروا الكتاب المقدس جزءا من التقليد باعتباره كان شفويا، وخلاصة القول: أن الديانة المسيحية وردت وانتقلت عبر دهورها من خلال إطارين، الأول: شفوي، والثاني: مكتوب، والعلاقة بينهما وثيقة وقوية بحسب اعتقاد النصارى، هذا هو التقليد بصورة وجيزة من جانب التعريف.

ثانيا: مادة التقليد الكنسي:

يعبِّر النصارى عن المنقول عبر التقليد بـ «مادة التقليد» ويقصدون بها المضمون والمحتوى المنقول، أو الوديعة التي احتفظت بها الكنيسة عبر قرونها المديدة، فما هذه المادة؟. وما ذلك المضمون؟.

يوضح القمص تادرس يعقوب ملطي ذلك صريحا بقوله: «في الحقيقة لم يودع الرب[2] كتابا بين تلاميذه ورسله، بل بالأحرى أعد رجالا يتبعونه ويقبلونه ساكنا في قلوبهم، لقد أنصتوا إليه وهو يُعلِّم، وتبعوه أينما حلَّ، رأوه يصلي، يهب راحة للشعب، يعامل الخطاة بلطف، يشفي المرضى ويقيم الموتى، رأوه يقيم العشاء الأخير ويهبهم السلام بعد قيامته، وأخيرا أرسل إليهم روحه القدس لا ليذكرهم بكلماته ولا ليسندهم ليكونوا مقتفين خطواته فحسب، بل بالأحرى لكي ينعموا بالاتحاد معه ويشاركوه حياته الإلهية. هذا هو جوهر تقليدنا: إنه الاتحاد مع السيد المسيح خلال الروح القدس، «فإن الآب قدم ابنه لنا، وقدم الابن حياته لنا» (غلا٢: ٢٠، أف٥: ٢).

ثم يتابع قائلا: « هذا هو التقليد الإيمان المسلم مرة للقديسين، أو الإنجيل مكتوبا في حياتنا ومنقوشا في قلوبنا، إنه بالأمر الحي، تسلمناه بواسطة الرسل[3] الذي سلموه

---

(١) اللاهوت المقارن، (١/ ٥٠).

(٢) الرب في عبارة القوم ومعتقدهم هو: المسيح عليه السلام.

(٣) يقصد بالرسول في كلام النصارى: «لقب لمن يبعثه المسيح، ينسب العهد الجديد هذا اللقب إلى الاثني عشر رجلا الذين اختارهم يسوع ليكونوا معه» المصدر: جدول الشروح الملحق بالكتاب المقدس (٤١٢)، نسخة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط الثلاثون ١٩٩٣م، جمعية الكتاب المقدس – لبنان، ورسل المسيح الاثني عشر هم الذين اختارهم المسيح لتبليغ دعوته، =

لتلاميذهم بعمل الروح القدس، الشاهد للسيد المسيح في حياة الكنيسة، وموحدها مع مخلصها... إلى أن يقول: هذا هو جوهر التقليد الذي نركز عليه عند دراستنا لمحتوياته التي هي: (رسالة الإيمان بالثالوث القدوس وعمل الله الخلاصي -أعمال السيد المسيح وأقواله- أسفار العهد القديم-المنهج الروحي والسلوكي في المسيح يسوع- منهج العبادة مفهومه ونظامه)[1].

وبهذا ندرك أن التلاميذ- بحسب زعم النصارى- نقلوا الشريعة كلها بالمشاهدة والمشافهة عمليا قبل أن يوجد كتاب مكتوب، بدءا بالإيمان المسيحي وانتهاء بأبسط الأقوال والأعمال للمسيح، وبهذا كان التقليد حاكما حتى على الكتاب المقدس فهما وشرحا وتفسيرا، وتكون المسيحية ديانة تقليد لا تقوم على وحي ولا كتاب معصوم.

ثالثا: الأصل الديني للتقليد:

أما أصل التقليد ومستنده الديني في المسيحية فنجد أن النصارى يسوقون جملة مما يعتبرونه أدلة على أن المسيحية هي التقليد والتقليد هو المسيحية، وأنه لا مسيحية بلا تقليد، وأن التقليد حق مطلق لا شك فيه، وبتتبع ما كتبوه في التدليل على ذلك نراهم يرجعون أحقية التقليد إلى أدلة متنوعة منها ما هو نص مقدس لديهم، ومنها ما يزعمون أنه من كلام الرسل أو كلام الآباء، ثم يضيفون إلى ما سبق ما يعتبرونه دليلا عقليا على وجاهة التقليد، وقبل أن أسوق جملة من أدلة القوم في إثبات التقليد، أقول: «إن القوم يضعون قاعدة يبنون عليها معتقدهم في التقليد، وهو أن الكتاب المقدس لم يذكر كل شيء يتعلق بالحياة الكنسية»، وأن كثيرا من تعاليم السيد المسيح لم تدوَّن، ثم يرجعون بالفكرة إلى ما قبل موسى – عليه السلام – ؛ ليثبتوا أصالتها في كل الشرائع من لدن آدم إلى وقتنا، حيث يسوقون أمثلة منتقاة من الشرائع السابقة من خلال العهد

=وقد وردت أسماؤهم في الأناجيل منها ما ورد في لوقا «١٣» لَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا «رُسُلاً»: ١٤سِمْعَانَ الَّذِي سَمَّاهُ أَيْضًا بُطْرُسَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ. يَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا. فِيلُبُّسَ وَبَرْثُولَمَاوُسَ. ١٥مَتَّى وَتُومَا. يَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَسِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْغَيُورَ. ١٦يَهُوذَا أَخَا يَعْقُوبَ، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي صَارَ مُسَلِّمًا أَيْضًا. (لوقا ٦/ ١٤-١٦).

(١) التقليد والأرثوذوكسية، (٤-٥).

القديم يفسرونها ويحملونها على معنى التقليد.

وهذا المثال الذي أنقله هنا يمكن القياس عليه، ومعرفة نظائره مما لم أورده، والمثال أورده البابا شنودة وهو نصه: «أن هابيل ابن آدم قدم قربانا لله من أبكار غنمه ومن سمانها»، (تكوين 4:3) يعقب شنودة على النص بقوله: «من أين عرف هابيل فكرة الذبيحة التي تقدم قربانا لله؟ ومن أين أتاه هذا الإيمان، ولم تكن في زمنه شريعة مكتوبة؟ لا شك أنه تسلمها بالتقليد من أبيه آدم، وأبونا آدم تسلمها من الله نفسه»[1] وهكذا يستمرون في إثبات التقليد عبر العصور إلى عصر آدم – عليه السلام –، ليقنعوا الشعب المسيحي أنه ليس على بدعة مخترعة وإنما هي شِرعة عتيقة.

أما أدلتهم من الكتاب المقدس على وجوب التقليد فهي كثيرة منها:

١- في رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي قوله: «اثبتوا إذاً أيها الاخوة وتمسكوا بالتقاليد التي تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا». (٢ تس ٢: ١٥). هذا الدليل أورده البابا شنودة في أحد كتبه وهو «اللاهوت المقارن– الجزء الأول؛ ليستدل به على شرعية التقليد، وبمراجعة نص الإنجيل وجدت أنه غيّرَ كلمة (التعاليم) من العبارة « تمسكوا بالتعاليم» إلى «تمسكوا بالتقاليد»؛ لتكون نصا في شرعية التقليد.

٢- يقول تادرس ملطي في سياق التدليل على التقليد: « أعلن الرسل أن التقليد الذي تسلموه خلال تلمذتهم ليسوع أحد مصادر سلطانهم الرسولي، فقد كرزوا كشهود عيان لأحداث حياة السيد المسيح وأعماله الخلاصية، فالقديس يوحنا يقول: «الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة...» « ١يو ١: ١». وفي إنجيله يقول: «الذي عاين شهد وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم» «يو ١٩: ٣٥».

وأشار القديس لوقا إلى أن أحداث السيد المسيح قد «سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة» «لو ١: ٢».وهذه النصوص تفيد حسب زعمهم أن أكثر

(١) اللاهوت المقارن (١/ ٥١–٥٢).

تعاليم السيد المسيح نقلها الرسل وتلاميذ المسيح عنه مشاهدة ومشافهة إلى من بعدهم، ونقلها من بعدهم إلى خَلَفِهم وهكذا عبر الزمن.

في الإصحاح الثاني عشر من رسالة بولس الأولى أهل كورنتوس يقول بولس: «فَأَمْدَحُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ عَلَى أَنَّكُمْ تَذْكُرُونَنِي فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَتَحْفَظُونَ التَّعَالِيمَ كَمَا سَلَّمْتُهَا إِلَيْكُمْ»، (١ كو ١١:٢). والعجيب أن القوم يتطاحنون فيما بينهم حول لفظة (التعاليم) فالأرثوذوكس يقولون: إنها (تقاليد) حسب النص الإنجيلي ويتهمون البروتستانت بأنهم حذفوا «تقاليد» ووضعوا بدلا منها «تعاليم» والسبب في ذلك عدم إيمانهم بـ «التقليد». وقد راجعت كثيرا من نسخ العهد الجديد، وبالتحديد «رسالة بولس الثانية إلى أهل تسالونيكي لأقف بالضبط على اللفظ الوارد هل هو (تقاليد) أو (تعاليم) فوجدت أن نص النسخة اليسوعية الكاثوليكية وردت فيه كلمة (السنن) وليس (التقاليد)، ونصها: «فاثبتوا اذاً أيها الإخوة وحافظوا على السنن التي أخذتموها عنا إما مشافهة وإما مكاتبة»، رسالة بولس تسالونيكي الثانية (١٥/٢)، وفي نسخة الفانديك البروتستانتية: «وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها سواء بالكلام أم برسالتنا» وليس فيها لفظ التقاليد، أما في نسخة الآباء الدومنيكان الصادرة سنة ٢٠٠٠م بالعراق عن النسخة الأصلية ١٨٧٥م في لبنان وردت بالفعل كلمة التقاليد: «تمسكوا بالتقاليد....إلخ» بينما في نسخة مهمة جدا اشترك في جمعها وكتابتها علماء من الطوائف الثلاث وصدرت ١٩٩٣م بلبنان، جاء فيها: «حافظوا على التعاليم....».

فالظاهر أن أكثر النسخ حتى عند الكاثوليك المؤمنين بالتقليد لم ترد كلمة «التقاليد» التي زعم شنودة أن البروتستانت حرفوها إلى «التعاليم» ليرفضوا التقليد، ولا ندري من حرف النصوص بهذه الطريقة التي نشأت بها الدعاوى وضاعت بسببها الحقائق، ثم كيف تبنى ديانة على لفظة مشكوك في صحتها؟.

٣- ومن الأدلة كذلك من العهد الجديد: «وقال أيضًا: ثُمَّ نُوصِيكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ أَخٍ يَسْلُكُ بِلاَ تَرْتِيبٍ، وَلَيْسَ حَسَبَ التَّعْلِيمِ الَّذِي أَخَذَهُ مِنَّا ». (٢تس٣:٦)، وبنفس الطريقة يتنازع القوم (الأرثوذوكس والبروتستانت في كلمة (التعليم أو التقليد) بمثل ما ذكرته آنفا. وتتكاثر الأدلة

المزعومة لدى القوم في إثبات التقليد، وتأكيد أهميته وضرورته، وسنختم بحثنا – إن شاء الله – بمناقشة تلك الأدلة المزعومة والرد عليها، وبيان التحريف المعنوي واللفظي الذي طال الكثير من نصوصها.

المسالة الثانية: أنواع التقليد الكنسي، وتطوره في تاريخ المسيحية:

قبل الشروع في بيان أنواع التقليد، يحسن بنا أن نضع مؤشرا يظهر من خلاله كيف تسلسل النقل أو التقليد – حسب زعم القوم– بدءا بالتقليد اليهودي، وانتهاء به إلى اليوم.

يؤمن النصارى – عدا البروتستانت– بأن الشرائع كلها من آدم – عليه السلام– منقولة بالتقليد، فيذكر البطريرك أغناطيوس زكا الأول عيواص أن التقليد ينقسم إلى ثلاث مراتب، تعد كل مرتبة منها مرحلة من مراحل تسلسل نقل التقليد وتوارثه، فيقول: « التقليد هو التعليم الروحي الذي ورثناه من الرسل الأطهار وآباء الكنيسة القديسين وهو إما إلهي، أو رسولي، أو أبوي».

أما التقليد الإلهي، فهو التعليم الذي تسلمه الرسل الأطهار من السيد المسيح مباشرة ومشافهة غير مدوّن بكتاب، ثم دوّنوه بإلهام الروح القدس وإرشاده. ويتضمن أسفار العهد الجديد وحقائق الإيمان.

وأما التقليد الرسولي، فيتضمن تعاليم الرسل، وقوانينهم، وتسليماتهم المقدسة التي تسلمها منهم تلاميذهم وخلفاؤهم الأقربون مشافهة، وهي مبنية على التقليد الإلهي الذي منه يستمد التقليد الرسولي قوته . وهذه التعاليم والتسليمات ولئن لم تدون بين دفتي الكتاب المقدس، غير أنها مطابقة لتعاليمه، ولا تناقضها وتعدّ الشاهد الأمين على صحة الإعلان الإلهي، والمفسّر الصحيح له ،بل المساعد على فهمه، يشتمل التقليد الرسولي على ما وضعه الرسل من دساتير الإيمان التي مصدرها اللهّ، وعلى أسرار الكنيسة السبعة ،وعلى القوانين التي سنُّوها ،والطقوس التي نظُّموها ،كطقس القداس الإلهي.

أما التقليد الأبوي، فهو ما تسلمته الكنيسة المقدسة منذ فجر تاريخها من آبائها الميامين من تعاليم سامية ،مبنيةّ على تعاليم الرسل الأطهار ،في تفسير العقائد ،وشرح

الكتاب المقدّس ،وتنظيم الطقوس الدينية ،وسنّ القوانين وخاصة قرارات المجامع المقدسة والقوانين التي سنهّا بعض الآباء كالبطريرك قرياقس، ومؤلفّات هؤلاء الآباء»[١].

ويحدد النصارى عدة مواصفات وشروط ينبغي توفرها في الآباء الشارحين ليصح تسلم التقليد منهم، وتلقيه عنهم، منها أن يكون أرثوذكسيا في معتقده وسيرته، مع الأقدمية، والمعاصرة ويمثلون لمن توفرت فيهم هذه الشروط بالآباء الرسوليين[٢]الذين أخذوا من رسل المسيح، ومن هنا يعتبرون أن الاطلاع على سيرة القديسين ضرورة لفهم الديانة، هذا عند الأرثوذكس، أما في الكنيسة الكاثوليكية فيذكر أحد أهم مراجعها وهو: «مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية» بيانا لبعض تلك الأنواع، وفيه أن التقليد الرسولي: « هو نقل رسالة المسيح الذي يتمَّم منذ أصول المسيحية الأولى بالكرازة، والشهادة، والمؤسسات، والعبادة والكتب الموحى بها، فقد نقل الرسل إلى خلفائهم الأساقفة، ومن خلالهم إلى جميع الأجيال، حتى منتهى الأزمنة ما تسلموه من المسيح وما تلقنوه من الروح القدس»[٣].

وللتقليد تقسيمات أخرى مذكورة في كتب القوم، فمن حيث طبيعته يقسمونه إلى تقليد «عملي» ويسمونه «التقليد السرائري»، وتقليد «نظري» وهو مقابل السرائري، ذكر ذلك متى المسكين قائلا: «التقليد الكنسي ينقسم إلى قسمين كبيرين:

١) **القسم النظري**: ويختص بطريقة شرح وتوضيح الحق المعلن في الإنجيل، وتحديد معاني الألفاظ الإيمانية تحديدا إيمانيا ملزما لكل المؤمنين.

٢) **القسم العملي**: ويختص بالفرائض والطقوس والعوايد المستقرة، مع كافة

---

(١) من مقال بعنوان (التقليد) للبطريرك اغناطيوس زكا الأول عيواص منشور بالشبكة العنكبوتية بموقع:

http://www.peregabriel.net/saintamaria/node/2160

(٢) الآباء الرسوليون مصطلح كنسي يطلق على الآباء الذي تتلمذوا مباشرة على رسل المسيح وتلقوا منهم التعاليم مباشرة من سنة ١٠٠ – ٢٠٠ أمثال اكلميندس وبوليكاربوس وأغناطيوس وبرنابا وبابياس...الخ. انظر: التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي، (١٩).

(٣) مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية (١٣) نقله إلى العربية المطران يوحنا منصور، ط ٢٠٠٥–٢٠٠٦م.

الممارسات العملية المسلمة من الرسل مع أحكامها.

وهكذا نجد أن التقليد ينقسم إلى قسمين كبيرين: قسم إيماني نظري تعليمي، وقسم إيماني عملي سرائري»[1].

ثم يزيد في شرح هذين النوعين قائلا: « أولا: التقليد التعليمي ويختص بتسليم الإيمان بالله وتفسيره وشرحه وتحديد نصوصه، إنما على مستوى الروح، كما تسلمه الرسل من التعاليم الشفوية الخاصة التي تقبلوها من المسيح رأسا حينما كان يعرفهم بأسرار الملكوت....

والثاني: التقليد السرائري: ويختص بتسليم الإيمان على صورة شركة عملية بالروح مع الله، تتم في الأسرار بواسطة حلول الروح القدس»[2].

قلت: ومن المؤكد أن هذه الطرق والتشخيصات لمعنى التقليد كلام فلسفي لا ندري معناه ولا كيف يتم في عالم الكنيسة، إذ كيف تنضبط الأمور الروحية وكيف يُعلم أن الروح القدس قد حلَّ[3]، وغير ذلك من المناقشات، وهذا التقسيم السابق إنما هو باعتبار المضمون، كما يأتي تقسيم آخر للتقليد باعتبار طريقة وصوله إلى النصارى حيث يقسمونه إلى:

١) تقليد شفوي: وهو من حيث الزمان سابق على الأسفار المقدسة المكتوبة، وهو حسب تعبير القوم «ما رأوه وسمعوه» أي الرسل.

٢) تقليد كتابي: وهو الأسفار المقدسة المكتوبة وتسلُمها وانتقالها عبر الأجيال نوع من أنواع التقليد.

كما أن هناك تقسيما آخر حسب مرحلية التقليد وطبيعة القائمين به إذ ينقسم لديهم إلى:

---

(١) التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي (٢٠).

(٢) المرجع السابق (٢٠-٢١).

(٣) للباحث دراسة غير منشورة بعنوان: « الروح القدس بوابة أباطيل الرهبان والقسس»، فيها بيان ما بناه النصارى من معتقدات وأعمال وطقوس وأسرار على تأهليه الروح القدس وإحالتهم على شيء غيبي حتى يسلموا من الانتقادات والسؤالات العقلية التي يمكن أن يتلقوها من أتباع الكنيسة ومن غيرهم.

١) تقليد رسولي: والمقصود به ما شاهده الآباء الرسل وعاينوه من حياة المسيح، أو تلقوه من الروح القدس الذي حل عليهم وملأهم من فيضه، وسلموه للآباء من بعدهم[١].

٢) تقليد آبائي: وهو ما توارثه الآباء عن الرسل شفاها غير المكتوبات، وهؤلاء الآباء، هم: مجموعة الأساقفة وكبار الشخصيات الدينية الكنسية التي كان لها أثر عظيم في المسيحية، وتسلمت الكنيسة من الرسل في القرن الثاني مثل أغناطيوس، وبليكاربوس وغيرهم[٢]. ويضيف زكريا بطرس: « والتقليد على نوعين:-

النوع الأول رسولي: وهو ما وضعه الرسل الأطهار عن الرب نفسه، مثل الدسقولية[٣]، وقوانين الرسل.

النوع الثاني كنسي: وهو ما وضعه آباء الكنيسة القديسون في الأجيال الأولى عن الرسل أنفسهم، ومنها رسائل الآباء الرسولين «الآباء الذين عاصروا الرسل وتسلموا منهم التقليد وخلفوهم مباشرة في تدبير الكنيسة» وقرارات وقوانين المجامع المسكونية[٤] الثلاثة [مجمع نيقية (٣٢٥م) ومجمع القسطنطينية (٣٨١م) مجمع

---

(١) انظر: بحث في التقليد المقدس (١٠) مصدر سابق. والتقليد والأرثوذوكسية (١١-١٢) مصدر سابق

(٢) انظر: حياة وفكر كنيسة الآباء للقس اثناسيوس فهمي جورج، (١١-١٥)، ط دار الكتاب المسيحي - القاهرة - ٢٠٠٠م، والتقليد لإنجيليوس جرجس (١٨) مصدر سابق.

(٣) الدسقولية: كلمة يونانية معناها (التعاليم) وهي جملة تعاليم الرسل الأوائل، وهو عبارة عن أحد الكتب الأصول في الرعاية الكنسية، وتمثل التعاليم الجامعة أو تعاليم الكنيسة الجامعة، وهي تكشف عن حقيقة التنظيم الكنسي، ويعتبر النصارى أن المصدر الأساسي لهذه التعاليم والقوانين هو التسليم الحي إلى الكنائس ، ثم ممارسة هذه الكنائس لما تسلمته من تعاليم وقوانين. انظر: تعاليم الرسل..الدسقولية د: وليم سليمان قلادة (١-٣) ط الثانية، دار الثقافة القاهرة.

(٤) المجامع عند النصارى قسمان الأول: مجامع عامة أو مسكونية نسبة إلى المسكونة وهي الأرض، وفيها يجتمع جميع أساقفة الكنيسة ليفحصوا مسائل الكنيسة مشتركين وليحلوا مشاكلها، ولقد حددت القوانين أن تكون المجامع العامة دفعتين في كل عام، ويجوز أن تجتمع في حالات استثنائية إذا دعت الضرورة لذلك. والثاني: مجامع مكانية وهي: التي يجتمع فيها الأسقف والقسوس والشمامسة في مركز كل أبروشية لتدبير أمورهم الخاصة، ويجوز انعقاد هذه المجامع يوميا عدا أيام الآحاد. انظر: عصر المجامع للقمص كيرلس الأنطوني (٢١-٢٢) ط الأولى مكتبة المحبة، ٢٠٠٢ م- مصر.

أفسس (٤٣١ م)[١].

وتوجد تقسيمات أخرى للتقليد باعتبارات مختلفة فمنها ما يسمونه التقليد الإيماني والتقليد التعبيري[٢].

المسألة الثالثة: شروط التقليد الكنسي وفوائده الدينية في النصرانية:

زيادة في حبكة مسألة التقليد وإمعانا في إقناع جماهير النصارى بها اجتهد رجال الدين المسيحي في إحاطة المسألة بهالة علمية، فحددوا شروطا لمن يؤخذ عنهم التقليد، وصاغوا له جملة من الفوائد.

أولا: شروط ومواصفات التقليد المقبول:

«لكي يقبل أي تقليد على أنه تقليد سليم يجب أن يتصف بالصفات الآتية:

١- موافقته وعدم تعارضه مع الكتاب المقدس.

٢- موافقته التقاليد الرسولية الأخرى المقبولة دون شك.

٣- أن يكون معروفا ومقبولا منذ البداية في جميع الكنائس المؤسسة من الرسل.

٤- أن يكون مشهودا له بالإجماع من جميع آباء الكنيسة في جميع الأجيال.

فإذا ظهر في وقت ما أي تقليد غير مستوف لشرط من الشروط السابقة فإن الكنيسة ترفضه بشدة وتقطع المتمسكين به من عضويتها»[٣].

وتحت عنوان «في كل زمكان، في كل مكان، ومن الكل» عبر بعض علماء اللاهوت عن ذلك بمصطلح «المعايير» قائلا: « توجد ثلاثة معايير لنعرف هل ذلك الأمر أيا كان من التقليد وحياة الكنيسة أم لا؟»:

المعيار الأول: القدم Antiquity وذلك يعني الإيمان بشيء منذ القدم.

المعيار الثاني: الشمول: Universality أي نجد الشيء يُعلَّم به ويؤمن به في كل مكان.

---

(١) التقليد الكنسي، زكريا بطرس (٥).

(٢) انظر تفصيل ذلك في: التقليد لإنجيليوس جرجس (١١-١٤) مصدر سابق.

(٣) بحث في التقليد المقدس (٢٨). مصدر سابق، وانظر: اللاهوت المقارن (١/ ٦١) سابق، والتقليد الكنسي (٦) سابق.

المعيار الثالث: الإجماع Unanimity أي ما كان يؤمن به ويُعلَّم به كل من كان عضوا في الكنيسة في كل زمان»[1]. هذا في جانب شروط ومواصفات التقليد ذاته، وهناك شروط أخرى موضوعة لمن يقبل منه التقليد من الآباء، وقد نوهنا عليها بصورة مختصرة آنفا.

ثانيا: فوائد التقليد:

يعتبر النصارى أن للتقليد فوائد مهمة تتمثل حسب قول الأنبا شنودة في:

«١- بالتقليد عرفنا الكتاب المقدس نفسه، فبالتسليم وصلت إلينا كتب الله، وما كنا لنعرفها ونميزها بغير هذا الطريق، والمجامع المقدسة هي التي حددت لنا كتب العهد الجديد.

٢- بالتقليد وصل إلينا كل تراث الكنيسة وكل نظمها وكل طقوسها.

٣- التقليد هو الذي حفظ لنا الإيمان السليم، سلمه جيل إلى جيل، ولو ترك كل شخص لنفسه يرى ما الذي يفهمه من آيات الكتاب، لوُجِدَت شيعٌ وأحزابٌ متعددة لا تربطها وحدة في الإيمان، لأن الكتاب المقدس شيء، وطريقة تفسيره شيء آخر.

٤- حفظ لنا بعض عقائد وتعاليم، مثل تقديس يوم الأحد، ورشم الصليب[2]وشريعة الزوجة الواحدة، والصلاة على الراقدين، وحفظ لنا عمل كل رتب الكهنوت»[3].

---

(١) هل الكتاب المقدس وحده يكفي كلمات حول التقليد المقدس، إعداد أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية (٢٨) ط الأولى ٢٠٠٣م، كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس سبورتنج.

(٢) رشم الصليب بالراء والشين لا بالواو والسين، ولا بالراء والسين، ولا بالواو والشين وهي كما يقول صاحب كتاب الأسرار السبعة تحت عنوان «رشم الصليب»: تعلمنا الكنيسة أن نفعل هكذا: نضع أصبعنا على الجبهة ونقول: باسم الآب،...ثم نضع أصبعنا على الصدر ونقول: والابن، ثم ننقل أصبعنا من الكتف الأيسر إلى الكتف الأيمن قائلين: والروح القدس...ثم نقول: إله واحد. إلى أن قال: وهذا تقليد رسولي. انظر: الأسرار السبعة للقس أنطونيوس فكري، (١٣٥) كتاب الكتروني بموقع الأنبا تكلا هيمانوت:
http://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-.n-Ritual-Taks-Al-Kanisa/13-HolySacraments_Fr-Antonios-Fekry/Holy-Sacraments_00-index.html

(٣) اللاهوت المقارن (١/ ٦١) سابق.

ويضيف باحثون آخرون من القسس ورجال الدين المسيحي أن التقليد هو الذي عَرَّف بالكتاب المقدس وشهد له، وحدد الأسفار القانونية وأسماء كتبتها، وميَّز بين الأسفار الحقة من الأسفار التي كتبها الهراطقة المزورون؛ ليدسوا بدعهم وهرطقتهم، كما يقدم التقليد شرحا للكتاب المقدس وبخاصة للآيات «العسرة الفهم» التي يحرفها غير العلماء- حسب تعبيرهم-، كما أكدوا -كذلك- على أهمية التقليد في بيان تفاصيل ممارسة طقوس الأسرار الكنسية كخطوات ممارسة سر التعميد، ووجوب تعميد الأطفال، وسر ذبيحة الأفخارستيا وصلوات القداس الإلهي، وسر مسحة المرضى وغير ذلك من الطقوس والأسرار التي لم ينص عليها الكتاب المقدس ونقلت عن طريق التقليد[1].

ومن جملة الشروط والفوائد يظهر بيقين تحكم البشر في مسيرة الديانة، وتحديد مضامينها واختيار كتبها، ووضع طقوسها، ثم يقبل كل ذلك بتسليم مطلق بزعم أنه تقليد مقدس يُقطع عن الكنيسة من لم يعترف به.

المسألة الرابعة: وسائط نقل التقليد ودور الروح القدس في ذلك:

في هذه المسالة نبين الوسائط والكيفيات والأدوات والمعابر التي حُفظ ونقل التقليد من خلالها في مسيرة التاريخ الكنسي، حيث يحدد القوم تلك الوسائط في الآتي:

١- «الكنيسة ذاتها ممثلة في معلميها قد حافظت على التعاليم الإلهية والتسليمات الرسولية، وذلك من خلال تسلسل الخلافة الرسولية وتتابع الأساقفة فيها، فالكهنوت المسيحي مرتبط ارتباطا وثيقا بتلك التقاليد المقدسة، وهو قائم للحفاظ على التقليد وتسليمه من جيل إلى جيل.

٢- أقوال آباء الكنيسة القدامى وكتاباتهم، وخصوصا الآباء الرسوليين في الجيل الأول والثاني، وكذلك آباء الجيل الثالث والرابع والخامس للميلاد، وذلك لقربهم من العهد الرسولي، ولاشتمال مؤلفاتهم على أقوال وتعاليم الرسل المتداولة في الكنيسة بالتقليد الشفاهي.

---

(١) ينظر: بحث في التقليد المقدس (٤٣-٤٨).

٣- كتابات مؤرخي الكنيسة الثقات الذي حرصوا على تسجيل تفاصيل الكنيسة الأولى، واشتملت كتبهم التاريخية كثيرا من أقوال الآباء السابقين لهم مباشرة، فحفظوا للكنيسة ما فقد زمن الاضطهاد.

٤- تحديدات وقوانين المجامع الكنسية سواء المجامع المكانية التي انعقدت في الأربعة القرون الأولى، أو المجامع المسكونية الثلاثة التي انعقدت لبحث مشاكل أو لدحض بدع وهرطقات، فإنها استطاعت أن تعطي حلولا للمشكلات وفقا للتعليم الرسولي الثابت في الكنيسة.

٥- صلوات الكنيسة وطقوسها»[١].

تلك هي وسائط نقل التقليد عبر التاريخ النصراني إلى يومنا هذا، ولا شك أنها تراكمات زادت أضعاف أضعاف على ما ورد في الكتاب المقدس والتعاليم المكتوبة؛ مما جعل الدين المسيحي دينا سماويا في الشكل لكنه بشري في المضمون والمحتوى.

ثم يأتي السؤال أين نجد هذا التقليد؟ أو بصيغة أخرى ما مصادر التقليد؟.

يجيب الأب جورج عطية عن ذلك محددا المصادر التي يمكننا أن نجد فيها مضامين التقليد في ثمانية مصادر هي:

١. دساتير الإيمان: وهي شروحات قديمة مختصرة للإيمان مبنيّة على أساس كتابات الرسل وتقليدهم، كانت تُستعمَل في الكنيسة الأولى من أجل التعليم أو حين المعمودية. وقد كان لكل كنيسة محلية في البداية دستور خاص، والخلاف بين هذه الدساتير كان في الشكل لا في المضمون. ثم بدأت هذه الدساتير تأخذ بالتدريج شكلاً واحداً، إلى أن تحدد دستور إيمان واحد لكل الكنائس في المجمعَين المسكونيَين الأول (٣٢٥)[٢] والثاني (٣٨١)[٣].

---

(١) ينظر تفاصيل ذلك: بحث في التقليد المقدس (٤٨- ٥٦).

(٢) هو مجمع نيقية وهو المجمع المسكوني الأول المنعقد سنة (٣٢٥م) وحضره ٣١٨ أسقفا، وكان بدعوة من الامبراطور قسطنطين الكبير، إثر ظهور بدعة آريوس القس الاسكندري، وفي هذا المجمع وضع قانون الإيمان، مع عشرين قانونا لسياسة الكنيسة. انظر: عصر المجامع القمص كيرلس الأنطوني (٢٥) ط الأولى، مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٣) هو مجمع القسطنطينية المنعقد سنة (٣٨١م) وهو ثاني المجامع المسكونية، انعقد =

٢. القوانين الرسولية الخمس والثمانون: وتتمثل فيما عرف «بالدسقولية» وهذه القوانين لم يكتبها الرسل أنفسهم، لكنها تحتوي على ترتيبات كنائسية مأخوذة عنهم.

٣. التحديدات العقائدية والقوانين الكنائسية للمجامع المسكونية السبع[١]، والمجامع المكانية التسعة[٢].

٤. كتب الخدم الطقسية: نستطيع أن نجد فيها تعليم الكنيسة مبسّطاً في صلوات وتراتيل، كما أنها تتطرق إلى مختلف مظاهر حياة الكنيسة الدينية والاجتماعية.

٥. سير الشهداء: أهم ما يعنينا في هذه السير هو اعترافات إيمان الشهداء قبل استشهادهم.

٦. تاريخ الكنيسة: لقد كتب مؤلِّفون قدماء كثيرا عن الأحداث التي لفتت انتباههم في مجرى حياة الكنيسة على الأرض. ما يهمّنا في هذا المجال بصورة خاصة تاريخ الهرطقات والأسباب التي أدت إلى عقد المجامع وبالتالي صياغة العقائد.

٧. كتابات الآباء القديسين: وهي تراث ضخم ومتنوّع ذو قيمة روحية عالية، كتبه عدد كبير من رجالات الكنيسة الذين استخدمهم الروح القدس لقيادتها عبر مختلف عصورها.

٨. الآثار المسيحية: وهي الأعمال الفنية القديمة المعبّرة عن تقليد الكنيسة من عمارة

=بدعوة الامبراطور ثيؤدوسيوس الكبير، لدحض دعوة مكدونيوس عدو الروح القدس، وحضره ١٥٠ أسقفا وقد أكمل قانون الإيمان النيقاوي، كما وضع قوانين أخرى لسياسة الكنيسة. انظر: عصر المجامع القمص (٢٥).

(١) المجامع العامة الكبرى وهي: (نيقية ٣٢٥، والقسطنطينية ٣١٨، أفسس الأول ٤٣١، خلكدونيا ٤٥١، وهذه أهم وأخطر المجامع لتعلقها بانحرافات العقائد المسيحية وتحريفها، المجمع القسطنطيني الثاني ٥٥٢، والمجمع القسطنطيني الثالث ٦٨٠، المجمع النيقاوي الثاني ٧٨٧م انظر: سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل بن نعمة الله جرجس بن نوفل (١٤٩-١٥٠) ط بيروت، ١٨٧٦م

(٢) المجامع المحلية المكانية وهي كثيرة منها المجمع الرسولي الأول ٥٣م، مجمع أنقرا بغلاطية أوائل القرن الرابع، مجمع قرطاجنة بشمال افريقيا، مجمع سرديكا، مجمع إنطاكيا بسوريا، مجمع اللاذقية بسوريا، مجمع قرطاجنة الثاني، مجمع غنغرا، مجمعا قرطاجنة الثالث والرابع. انظر تفاصيل ذلك في: عصر المجامع (٥-١٣) مصدر سابق.

وموسيقى وأيقونات... تشدد الكنيسة الأرثوذوكسية بصورة خاصة على أهمية:

أ) التحديدات العقائدية للمجامع المسكونية السبع.

ب) كتب الخدم الطقسية.

ج) كتابات الآباء القديسين»[1].

الروح القدس والتقليد

في هذا السياق لابد من بحث مسألة مهمة، وهي عمل الروح القدس وأثره في عملية التقليد، فللروح القدس في الكنيسة سلطان هائل وبخاصة في قضية التقليد، يقول الأب جورج عطية مصورا ذلك: «التقليد نشأ قبل الكتاب؛ لأن الله أراد بحكمته أن يجعل حقائق الإعلان الإلهي تعطى شفاها لكي يسهل قبولها وتمثلها؛ لأنه لو أعطيت حقائق الإيمان منذ البداية كتابة لما انتشرت بهذه السهولة والقوة: «الإيمان بالسماع بينما السماع بكلمة الله» (رو١٠: ١٧).

قلت: ولا ندري ما الذي يجعل انتشار حقائق الإيمان عسرا وضعيفا حال كونها مكتوبة؟ وهل يصلح هذا أن يكون مبررا لعدم كتابة التعاليم التي هي وحي طوال أكثر من قرن لتصير بسبب شفويتها كتبا عدة تضطر المجامع اختيار بعضها وترك البعض الآخر؟ إنه لشيء عجاب.

ثم بعد أن قرر عطية أن الوحي والتعاليم كانت شفاها لا كتابة، قرر أن المخلص نفسه أمر رسله أن يكرزوا شفاها بمعونة الروح القدس في عملية التبليغ ونشر الرسالة، حيث أورد قول متى: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدّوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» (متى ٢٨: ١٩ – ٢٠).

ولكن بمعونة الروح القدس الذي سيلبسهم قوة من الأعالي (لوقا:٢٤: ٤٩) وهو روح الحق الذي يمكث معهم ويكون فيهم (يو١٤: ١٧) ويعلّمهم كلّ شيء ويذكرهم بكل

---

(١) التقليد أو التسليم للأب جورج عطية، (٤) بحث منشور بمجلة التراث الأرثوذكسي، على الإنترنت تاريخ ٢٠١١/١٢/٣١. بموقع:
http://www.webinleb.com/orthodoxlegacy/index.php?optioncom_content&view=article&id=1083:2011-12-31-06-3830&catid47:lahout

ما قاله يسوع لهم (يو١٤: ٢٦).

هكذا لم تكن كتابات الرسل وحدها بإلهام الروح القدس، بل أيضاً كلامهم المنطوق: «وكلامي وكرازتي لو يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة» (١كو٢: ٤)». ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله؛ لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله. التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية، بل بما يعلمه الروح القدس» (١كو٢: ١٢ – ١٣)»[١].

وعلى هذا فكل « التسليمات الكنسية (التقليد) بما فيها الكتاب المقدس هي ثمرة لحياة الروح القدس في الكنيسة»[٢]. فكان الروح القدس هو الراعي الأمين على أسفار وتعاليم الكنيسة الذي يحيا في الكنيسة بمواهبه وتأثيراته. فالكنيسة تستمد روحها وتعاليمها من الروح القدس الذي سلم الرسل، ثم الرسل الذين سلموا الآباء يقول القديس إيريناؤس» يحفظ التقليد في الكنيسة بواسطة الروح القدس الذي يجدد شباب الكنيسة»[٣].

وإذا كانت أبرز تجلِّيات التقليد إنما تبرز في الأسرار الكنسية، حيث نجد اسم «الروح القدس»، حاضرا في كل تراتيل القوم عند ممارسة تلك الأسرار؛ لأنه حسب معتقدهم مورث ذلك التقليد، ولنورد هنا ثلاثة أمثلة من عشرات الأسرار التي يكون الروح القدس فيها حاضرا مؤثرا كنموذج فقط:

- سر المعمودية: يصلي الأب الكاهن قائلا: املأهم (أي المعمَّدين) من قوة روحك القدس...) وعبارات أخرى كلها توسلات بحلول الروح القدس.
- سر مسحة الرضى: يصلي الأب الكاهن: «نسألك يا رب من أجل عبد (فلان) لتحل عليه نعمة روحك قدسك، وطهره من جميع الخطايا».
- سر الزيجة: «عند وضع الأكاليل يصلي الآب الكاهن قائلا: «كللهما بالمجد والكرامة أيها الآب الأمين، باركهما أيها الابن الوحيد، قدسهما أيها الروح القدس

(١) التقليد أو التسليم للأب جورج عطية، (٢) مصدر سابق.
(٢) المرجع السابق (٣).
(٣) التقليد والأرثوذكسية تادرس يعقوب (٢٥)، سابق.

آمين».... وعندما يسلم الآب الكاهن العروس لعريسهما يقول: يجب عليك أيها الابن البار المؤيد بنعمة الروح القدس أن تتسلم زوجتك هذه الساعة المباركة بنية خالصة...» [1].

المسالة الخامسة: الرؤية الآبائية للتقليد، أو التقليد الكنسي في أقوال الآباء:

يؤكد آباء الكنيسة دائما على أن التقليد هو الضمان الوحيد لاطمئنان المسيحي إلى صحة معتقده، مبينين أهميته وفوائده، منكرين على من أنكره ولم يعترف به، ولن أسوق كلمات الآباء الرسوليين، وسأقتصر على عبارات من جاء بعدهم من الآباء غير الرسوليين، وهذه جملة من أقوالهم:

يقول القديس أوغسطينوس: « أنا أقبل الكتاب المقدس مسلما من الكنيسة مشروحا بالآباء مُعاشَا في القديسين» وهذه عبارة تأسيسية في كون الكتاب المقدس لا يقبل إلا بشرح وتفسير الآباء، ويعتبرون أن الهرطقات إنما نشأت بسبب التفسيرات الفردية البعيدة عن روح الكنيسة وأقوال الآباء؛ لذا نجد البابا شنودة يقول: «التقليد هو الذي حفظ لنا الإيمان السليم، سلمه جيل إلى جيل، ولو ترك كل شخص لنفسه يرى ما الذي يفهمه من آيات الكتاب، لوُجدت شيعٌ وأحزاب متعددة لا تربطها وحدة في الإيمان؛ لأن الكتاب المقدس شيء، وطريقة تفسيره شيء آخر»[2].

ويقول القديس ايرينيؤوس: « وإذا لم يكن الرسل قد تركوا لنا كتاباتهم، ألم نكن مضطرين أن نعتمد على التعاليم التي في التقليد كما سلموها للذين وضعت الكنائس في عنايتهم»[3].

ويقول كلمنضس الاسكندري: « إن الذي يزدري بالتقليد الكنسي لا يعود يحسب من أولاد الله»، ويقول أورجانيوس: « لا يعتبر أي أمر أنه حق إلا إذا كان لا يتناقض قط مع التقليد الكنسي الرسولي».

---

(١) الروح القدس رؤية كتابية وآبائية، الراهب هرمينا البرموسي (-٣٢٧٣٢٨) ط الأولى، مطبعة الدلتا، ٢٠٠٩م، القاهرة.

(٢) اللاهوت المقارن (١/ ٦٢) سابق.

(٣) التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي (٤٧).

ويقول اثناسيوس الرسولي: « وعلينا أن نعتبر جدا هذا التقليد الذي هو تعليم وإيمان الكنيسة الجامعة الذي أعطاه الرب منذ البدء، وكرز به الرسل وحفظه الآباء، والذي عليه تأسست الكنيسة وقامت».

وأختم هذه المسألة بعبارة القديس أوغسطينوس: « أنا لا أؤمن بالإنجيل إلا كما يوجهني سلطان الكنيسة»[1]. وتتكاثر عبارات الآباء والقديسين وتتواتر في إثبات التقليد وبيان أهميته في الكنيسة، وأن المسيحية لا تعدو أن تكون «تقليدا» وكل ما لم يرد عن طريق التقليد فلا يُعدُّ شيئا، ومن لم يؤمن به فليس محسوبا من أولاد الله وجزاؤه أن يقطع عن الكنيسة.

المسالة السادسة: التقليد الكنسي رؤية مغايرة:

قبل أن أتناول قضية التقليد بالتفنيد والنقد، أعرض وجهة نظر مسيحية ناقدة للتقليد إما إنكارا كليا أو معترضة على بعض محتوياته ومبالغاته:

موقف البروتستانت من التقليد:

لطائفة البروتستانت موقف خاص من مسألة التقليد يتمثل في الرفض والإنكار؛ وذلك لطبيعة مذهبهم الحرفي والذي غالبا ما يرفض السلطة الشخصية للقديسين في الديانة، ويقيمون على رفضهم وإنكارهم حججا منها الديني ومنها العقلي، وهذه بعض الحجج:

١- رفض السيد المسيح التقليد: يستشهد البروتستانت على بطلان التقليد برفض السيد المسيح إياه صراحة في كلامه للكتبة والفريسيين: «لماذا تتعدون وصية الله بسب تقليدكم»(مت ١٥ :٣)، وكذلك تبكيت اليهود على تمسكهم بالتقليد عندما قال لهم: «قد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم» ١٥/ ١-١٢). لكن المؤمنين بالتقليد من الأرثوذوكس والكاثوليك يردون على هذه الحجة بقولهم: «الواقع أن السيد المسيح لم ينكر التقليد عموما، بل أنكر على الكتبة والفريسيين تقليداتهم الخاصة التي ابتدعوها ضد وصايا الله لخدمة أهوائهم الخاصة ومنافعهم

(١) هذه العبارات وغيرها الكثير أوردها متى المسكين في كتابه (التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي) (٤٧-٥٠).

الشخصية»[1]. ثم يحتجون عليهم بكلام بولس في ضرورة لزوم التقليد، ولسنا هنا بصدد الكلام عن بولس وأثره التحريفي في الديانة، وقد أشرت من قبل إلى اضطرابهم في إثبات لفظة «التقليد» وعدم إثباتها.

٢- تحذير بولس من الانخداع بالتقليد بعيدا عن تعاليم المسيح: ففي رسالته إلى أهل كولوسي قال: « اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ»(٢:٨). لكن المؤمنين بالتقليد يناقشون ذلك ويردونهم بقولهم: « والمتأمل في هذا الإصحاح يرى أن بولس الرسول يذكر أنه فرح بسبب ترتيبهم ومتانة إيمانهم في المسيح ثم يحذرهم من تقليد الناس الذي ليس حسب المسيح، ويقصد بولس الرسول من ذلك الفرائض اليهودية والبدعة الغنوصية التي من أجل دحضها كتب هذه الرسالة وإلا فما رأيكم في قول بولس الرسول نفسه: « اثبتوا إذاً أيها الاخوة وتمسكوا بالتقليدات التي تعلمتموها سواء بالكلام أم برسالتنا» (٢ تس ٢: ١٥).

٣- عدم جواز الزيادة على النصوص المكتوبة:

يعترض منكرو التقليد اعتراضا وجيها عندما يقررون أن الزيادة على النصوص المقدسة زيادة غير مقبولة مستندين إلى موسى النبي في العهد القديم: «لا تزيدوا على الكلام الذي أنا أوصيتكم به ولا تنقصوا منه» (تث ٤: ٢)، ونصوص أخرى في إنجيل يوحنا وغيره تمنع من الزيادة على نص كلام الرب. يجيب القس زكريا بطرس عن ذلك قائلا: «لا يقصد من هذه الآيات نقض التقليد، بل يقصد عدم إضافة نص أو عبارة على ذات كتاب الناموس وسفر الرؤيا، وإلا اعتبرت أسفار الأنبياء والبشائر والرسائل التي أضيفت إلى كتاب الناموس، وسفر الرؤيا مخالفة لكلام موسى ويوحنا»[2]. ولا شك في تهافت هذا الرد، إذ قصره على منع الزيادة في سفر بعينه يفهم منه جواز الزيادة في غير محل النهي والرفض، وهذا ما حدث بالفعل.

---

(١) بحث في التقليد المقدس (٢٦).

(٢) التقليد الكنسي، زكريا بطرس (٢٦).

وفي كتابه «التقليد الكنسي» يضيف جملة من اعتراضات البروتستانت على التقليد محاولا الرد عليها ومناقشتها فيذكر:

٤- الاعتراض الرابع: يعترضون بأن الرسل كتبوا التقاليد التي سلموها للكنائس في الإنجيل فلا داعي للتمسك بغيره. الرد: - الرسل لم يكتبوا كل شيء بل أشاروا إلى التمسك بالتقليد المسلم لهم كقول بولس الرسول: « اثبتوا إذن أيها الاخوة وتمسكوا بالتقليدات التي تعلمتموها سواء بالكلام أم برسالتنا»(٢تس ٢: ١٥).

٥- الاعتراض الخامس: يقولون إذا كان التقليد ضروريا للخلاص فلماذا لم يكتب في الإنجيل بالتفصيل؟

الرد: حقيقة إن الكتاب المقدس ذكر كل ما هو ضروري للخلاص ولكن هناك أمورا كثيرة ذكرت مختصرة واكتفى بالإشارة إليها على أنها أمور مسلمة ومرتبة، فجاء التقليد شارحاً لهذه الترتيبات، فهو بمثابة مذكرة تفسيرية لقانون العهد الجديد المذكورة بنوده في الإنجيل. فالتقليد وضح أموراً كثيرة غامضة كتقديس يوم الأحد، وتعميد الأطفال، وترتيبات طقوس العبادة والإسرار... الخ»[١].

وجهة أخرى في رفض التقليد:

ولا يمكن أن ننسى ونحن بصدد تناول وجهات نظر مغايرة في النظر إلى التقليد، تلك الوجهة لبعض الغربيين من أساتذة التاريخ واللاهوت حيث « بقي بعضهم إلى فترة طويلة يتطلعون إلى التقليد على أنه طاعة عمياء للماضي، وتمسك بوديعة سلبية جامدة، بهذا يكون التقليد في نظرهم أشبه بفهرس ثمين لمجموعة من التقاليد القديمة والقوانين والطقوس، أو قل متحف يضم ما هو قديم، بهذا يحسبون الكنيسة جامدة رجعية ترتبط بالقديم لمجرد قدمه»[٢]. من أمثلة هؤلاء: الأستاذ البروتستانتي الألماني هارنك Har Nack حيث رأي أن: « التقليد هو نظرية قديمة -غير تاريخية - أي تعالج الماضي وحده دون ملاحظة متغيرات الحاضر، وبالتالي يكون هناك عجز عن مجاراة متطلبات المستقبل، فالتقليد هو مناقشة مشكلات الكنيسة في العصور الأولى

(١) التقليد الكنسي (٢٨) وانظر: اللاهوت المقارن لشنودة (١/ ٤٩-٦٢).
(٢) التقليد والأرثوذكسية (٢).

فقط» [1].

كما حرصت الكنيسة على مواجهة هؤلاء الذين يرفضون التقليد الذين يعتبرونه ضربا من الجمود والطاعة العمياء، ويقومون بإيراد ردود عديدة على وجهة نظر المؤمنين به، فتؤكد الكنيسة في ردها عليهم أن التقليد لا ينافي التجديد، بل هو الذي يمنح الكنيسة والكتاب المقدس التجدد والحياة دائما، يقول البابا شنودة في دفاعه عن التقليد: « والمعروف أنه في كل جيل جديد تظهر أمور جديدة لم تكن معروفة من قبل تحتاج إلى إبداء رأي الدين فيها، حتى لا تتبلبل الناس وتتشتت آراؤهم، ولا يعرفون أين الحق من الباطل؛ لأنه ليس جميع الناس علماء بالكتاب وبقواعد الدين؛ لذلك تقوم الكنيسة بسلطانها التعليمي والتشريعي بإبداء رأي الدين في هذه الأمور؛ لأنه من فم الكاهن تطلب الشريعة كما يقول الكتاب، وبتوالي الأجيال يتحول تعليم الكنيسة في جيل معين إلى تقليد تتوارثه الأجيال»[2].

وقد حاول تادرس يعقوب ملطي إظهار سفه المعترضين على التقليد، واصفاً إياهم بـ «الهراطقة»، متهما إياهم بـ «سوء فهم الكتاب المقدس»، وأنهم «مثل الحيات» وغير ذلك من الأوصاف الشنيعة[3].

ويتحدث أيضا »إجرافوس» عن التقليد الشفهي مهاجما رافضيه ناعتا إياهم بأنهم يحاولون هدم الإيمان المسيحي، معتبرا التقليد حافظا للتفسير السليم للكتاب المقدس، الأمر الذى يحاول الهراطقة تحطيمه، فيقول: «الإيمان هو موضوع الهجوم، فإن الهدف الوحيد لكل جماعة المقاومين، أعداء التعليم السليم هو تحطيم أساس إيمان المسيح بهدمهم التقليد الكنسي حتى النهابة وإزالته كلية...يطلبون البرهان الكتابي محتقرين تقليد الآباء غير المكتوب كأنه أمر ليس بذى قيمة»[4]. بينما يصفهم آخر بأنهم يعتمدون في نظرتهم الرافضة للتقليد على الفلسفة الأوربية

---

(١) التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة، نشأت عطية عبد الله، (١٣/١) ط الأولى، ١٩٨٨م، دار العالم العربي، القاهرة.
(٢) اللاهوت المقارن (١/ ٦١-٦٢).
(٣) انظر: التقليد والأرثوذكسية، تادرس يعقوب، (٢٨).
(٤) التقليد والأرثوذكسية، تادرس يعقوب، (٢٧).

أكثر من اعتمادهم على اللاهوت المسيحي»[1]. وهنا يأتي السؤال عن مدى وجاهة هذه الردود على منكري التقليد، ومدى صلاحيتها أن تكون حججا لإثبات التقليد ودحض حجج منكريه، لعل ذلك يظهر في المسألة الأخيرة من بحثنا هذا.

أثر التقليد الكنسي في الديانة المسيحية:

سؤال كبير ينبغي بحثه في دراسة المسيحية ألا وهو: على أي أساس مرجعي تشكلت وقامت المسيحية؟ هل هو الكتاب المقدس؟ أو التقليد الكنسي؟ والجواب القاطع: أنها قامت وتشكلت على أساس التقليد، وهذا الجواب يدفعنا إلى بحث أثر التقليد في الديانة وبيان الإضافات المكونة لبنية الديانة والتي وفدت إليها عبره.

والحقيقة أن القول بالتقليد كما سيأتي في المسألة التالية والأخيرة من بحثنا، حاول النصارى أن يخرجوا به من مأزق فوقعوا في مآزق؛ لأنهم بإيمانهم بالتقليد فتحوا الباب على مصراعيه للإنسان أن يقول قوله ويعمل عمله، وذلك عندما يوضع البشر في مصاف المعصومين والآلهة بحجة أنهم قديسون وأنهم ملهمون بروح القدس، ثم تقبل هذا الفعل البشري المؤثر والخطير تحت مسمى التقليد والتسليم. وفي هذه المسألة يصعب استقصاء كافة الآثار الناجمة في المسيحية عن التقليد؛ لأن هذا يقتضي استعراض كافة المسائل الكنسية بدءا من الاعتقاد وانتهاء بالممارسات الفرعية للإنسان المسيحي؛ لأننا قد عرفنا من قبل أن الديانة برمتها إنما هي ديانة التقليد، وبالتالي فلا انفكاك بين تفاصيلها وبين مفهوم التقليد، حتى إنه غدا من الصعب بل من المرهق علميا التفريق بين ما ورد مكتوبا من خلال الكتاب المقدس، وبين ما ورد تسليما بالتقليد عبر الأجيال.

المسالة السابعة: رؤية نقدية للتقليد:

يعتبر الباحث أن التقليد إن كان بمعنى متابعة اللاحق للسابق، فهو عملية تشترك فيها جميع الأديان والأفكار والمعتقدات، إلا أن تلك المتابعة المجردة إن كانت مقصودة لذاتها فما لم تكن محكومة ومنضبطة بنص يصحح مسارها دائما، فإنها قطعا

(١) التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة، نشأت عطية عبدالله (١/ ١٥).

سيعتورها الخلل والزيادة والنقصان مع كل جيل.

والتقليد في المسيحية -كما رأيناه- حاكم على النصوص وليست النصوص حاكمة عليه، مع شكنا من ناحية الأصل في النصوص حيث إنها ذاتها ثابتة ومعتمدة ومختارة - لدى القوم- بالتقليد؛ ولهذا السبب وقعت زيادات هائلة في الديانة رغم الدعاوى العريضة التي يحاول بها النصارى إثبات عدم وقوع شيء من ذلك في ديانتهم، حتى غدت المسيحية في كل جيل ومع كل مجمع، بل مع كل بابا يعتلي عرش الكنيسة لونا آخر عن لونها السابق، تلك هي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها.

هذه مقدمة مختصرة، ويمكن الوقوف الوقفات النقدية التالية مع التقليد الكنسي.

أولا: هل السبب في التقليد هو أن الكتاب المقدس لم يذكر كل شيء؟

هكذا يبرر البعض وعلى رأسهم البابا شنودة في كتابه «اللاهوت المقارن» وهو يؤصل لمشروعية التقليد وبيان ضرورته الدينية، وقد تبنى ذلك الادعاء عن شنودة أكثر الباحثين المعاصرين من الأرثوذوكس، ورددوه في مؤلفاتهم، لكن يبدو أن الأمر ليس بهذه البساطة، وإنما التفسير المعقول في رأي الباحث: أن النصرانية تعترضها معضلات علمية وتاريخية تهدمها من أساسها، مثل معضلة (سند الكتاب المقدس وبخاصة الإنجيل (العهد الجديد»- وهل الإنجيل واحد أم أناجيل- ولماذا أخذت العقيدة الدينية المسيحية مراحل وأطوار ومضامين من مجمع إلى مجمع)، وغير ذلك من المعضلات التي لا يمكن الفكاك منها إلا باختلاق فكرة التقليد، التي تعتبر أن الديانة المسيحية لا يمكن أن تنقل فقط عبر تعاليم مكتوبة، بل الأصل التقليد الموروث المُسلَّم من المسيح إلى تلاميذه، ثم إلى الرسل الآباء وهكذا إلى اليوم على نحو ما ذكر مفصلا في المسائل السابقة من البحث.

ثانيا: إشكالية المضامين والمعاني في الكتاب المقدس:

فعلى الرغم مما وقع في الكتاب المقدس من تحريفات هائلة إلا إنه لا يزال محتفظا ببعض المضامين المحرجة والهادمة للمعتقد الكنسي كتلك التي تنص على بشرية المسيح، ووحدانية الله تعالى، وتلك التي تنص بألفاظ مختلفة أو تشير إلى نبوة النبي محمد ﷺ، والنصوص المحرمة للخمر وغير ذلك من المفاهيم والمضامين التي لا مخرج

من مواجهتها إلا بالتفاف عليها بما يسمى التقليد، الذي يمنح الآباء سلطة جديدة في تفسيرها وإعطائها معاني تتوافق مع المعتقد النصراني الباطل، وقد جعلوا من وظائف وفوائد التقليد « تفسير النصوص العسرة الفهم» كما بينا في ثنايا البحث.

وهكذا يمنح التقليد رجال الدين النصراني سلطة جديدة، بل طريقة جديدة أو حيلة جديدة للتخلص من تلك الإشكاليات النصية في الكتاب المقدس لم يكن لها مخرج إلا باختلاق فكرة «التقليد».

ثالثا: النسبة والتناسب بين التعاليم المكتوبة والممارسات العملية المنقولة بالتقليد:

من يتعرف على المسيحية عن قرب ومن خلال الواقع المعاش داخل الكنائس يجد أن النصرانية صورتان:

الأولى: ما نقل في الكتاب المقدس وبخاصة «العهد الجديد»: وهذه النصرانية على الرغم من تحريفها إلا أنها محدودة جدا بالنسبة إلى ما يمارس واقعيا باسم الديانة.

الثانية: النصرانية غير الشفوية: وهي المنقولة حسب كلامهم عبر التقليد، وهي أضعاف أضعاف المكتوبة، وحسب تقديري فما يمارس في واقع الكنيسة والحياة المسيحية مما ليس شفويا ولا مكتوبا في الكتاب المقدس يصل إلى ٨٠٪ بينما المكتوب والمنقول ٢٠٪، ومن ذلك مثلا الأسرار السبعة[1] وتفاصيلها العلمية، والأيقونات،

---

(١) الأسرار السبعة للكنيسة هي: المعمودية، سر الميرون، سر الاعتراف والكفارة، سر التناول (القربان)، سر مسحة الرضى، سر الزواج، سر الكهنوت. والسر الكنسي: هو مصطلح كنسي، ويعنى به عند النصارى نعمة إلهية سرية لا يراها الإنسان، وينالها المؤمن بطريقة سرية بفعل الروح القدس عن طريق صلوات يرفعها كاهن شرعي بطقس خاص مع وجود مادة السر. ينظر: ١٢٠ سؤالا وجوابا عن أسرار الكنيسة السبعة، ميخائيل مكسي إسكندر، (٢/٨). دار المحبة، القاهرة، ٢٠٠٠م. ويمكن التعريف بهذه الأسرار بإيجاز: ١) المعمودية يقولون عنها: سر مقدس به نولد ميلادا ثانيا، بتغطيسنا في الماء ثلاث دفعات، على اسم الثالوث الأقدس: الآب، والابن، والروح القدس. انظر: أسرار الكنيسة السبعة (٦٨-٦٠). ٢) وسر الميرون: الميرون مزيج سائل مركب من ٣٠ نوع من الطيوب والعطور وأضافوا إليه زيت الزيتون وغيره وقدسوها بكلمة الله والصلاة وجعلوها لسر المسحة، ووزعوه على المزمع أن يسود كنيسته في المياه، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث الأقدس. انظر: أسرار الكنيسة السبعة، (٦٨-٦٧) ٣) وسر الاعتراف: هو رجوع الخاطئ إلى الله ومصالحته معه باعترافه بخطاياه=

واللوترجيات، والطقوس وتفاصيل ترسيم الآباء والكهنة، وتفاصيل الرهبنة ورتب الكهنوت، فضلا عن التشريعات والأحكام العملية للشعب الكنسي.

ولا شك أن هذه معضلة تواجه النصارى إذا ما واجهناهم بسؤال: من أين لكم كل هذه الأشياء في ديانتكم؟ إلا أن علماءهم يبررون ذلك بكل بساطة بأن كل ذلك موروث تقليدا، والتقليد حاكم، والمسيحية ديانة تقليد، وليست فقط ديانة كتاب مكتوب.

وصدق الله تعالى عندما ذكر أن اليهود والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[1].

ومعنى اتخاذ الأحبار والرهبان آلهة من دون الله: هو معنى «العبادة» المتمثل في اتباعهم في التحليل والتحريم وفق الأهواء بعيدا عما شرعه الله تعالى، فعن عدي بن حاتم ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فقلت له: إنا لسنا نعبدهم. قال: « **أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه**؟» فقلت: بلى. قال: « **فتلك عبادتهم**»[2].

رابعا: أدلة التقليد النصية والعقلية:

ساق النصارى ما ظنوه أدلة في ثبوت التقليد وضرورته، بعضها نصي والآخر عقلي، وأنه لا تتصور المسيحية ولا الكنيسة بدونه، وتواترت كتاباتهم على تلك

= أمام كاهن الله ليحصل على حل منه بالسلطان المعطى له من الرب يسوع. أسرار الكنيسة السبعة، (١٤١). ٤) وسر التناول (القربان): سر مقدس يأكل به المؤمن جسد المسيح الأقدس، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر ويسمى سر الشكر والأفخارستيا. انظر: أسرار الكنيسة السبعة (٨٠). ٥) وسر مسحة الرضى: سر مقدس يمسح به الكاهن المريض بزيت ويستمد له النعمة الإلهية لشفائه من أمراضه الروحية والجسدية، ويسمى سر الزيت المقدس. اسرار الكنيسة السبعة (١٧٧). ٦) وسر الزواج: وفي تصويره كلام كثير خلاصته أن يحل الروح القدس ليبارك العروسين، ويصلي الكاهن ويمسح العروسين ويطرح عليهما الأكاليل ليباركهما، ويطلب لهما السعادة. الأسرار السبعة (١٨٧). ٧) سر الكهنوت: وهو باختصار سر مقدس فيه إقامة الكهنة لخدمة الكنيسة عبر ترتيب وطقوس تفصيلية.

(١) سورة التوبة، آية (٣١).

الأكاذيب، كما تواترت على أكذوبة التثليث وألوهية المسيح وغير ذلك.

وبالنظر فيما ساقوه في هذا السياق نجد أن كل ما ذكروه لا يخدم مطلقا فكرة التقليد على النحو المعمول به في الكنيسة، فهو توسيع بلا حدود لمعاني النصوص وتحميلها أبعد وأكثر مما تحتمله، ومن أشهر تلك النصوص التي عليها اعتمادهم في قضية التقليد:

«إذ كان لي كثير لأكتب إليكم، لم أرد أن يكون بورق وحبر؛ لأني أرجو أن آتي إليكم وأتكلم فما لفم؛ لكي يكون فرحنا كاملا (يو/ ١٢: ١).

«الذي كان من البدء الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب، وأظهرت لنا الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به؛ لكي يكون لكم أيضًا شركة معنا، وأما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح. (الرسالة الأولى ليوحنا الرسول / ١: ١).

سأل الفريسيين الربُّ يسوع قائلا: «لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ، فإنهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزًا؟، فأجاب وقال لهم: وأنتم أيضًا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم... فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم (متى ٣ :٥ ١-(٦).

وعلى الرغم من أن النص في إبطال التقليد إلا أنهم جعلوا التقليد الذي أنكره يسوع هو تقليد الفريسيين، وليس مطلق التقليد الذي اخترعه النصارى.

«جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (يو٥ ١ :١:)،«قد قرب الزمان واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل» (مر/ ٥ ١: ١). يحتجون بهذين النصين على أنه لم يكن إنجيل بعدُ مكتوبا، وهذا تفسير عجيب، والأعجب منه الاستدلال به على التقليد.

يقول القديس بولس في الإصحاح الثاني من رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي (١٦:٢): «فاثبتوا إذاً أيها الإخوة وتمسكوا بالتعاليم التي تعلمتموها، سواء كان بالكلام أم برسالتنا»، والكلام على بولس وحقيقة دوره المشبوه في تحريف النصرانية معروف لدارسي المسيحية.

وكثيرة هي النصوص التي تساق لإثبات التقليد وكلها لا تحمل أي معنى صريح في الموضوع، وإنما هي تكلفات في التفسير وتحوير الدلالات، وتفسيرها ذاته إنما هو بالتقليد الموكول إلى رجال الدين القائمين به.

خامسا: الفروق الهائلة والتناقضات بين التقليد الشفهي والمكتوب:

ولعل هذه المسألة أشير إليها ضمنا في المسألة الثالثة لكنها جوهرية عند مناقشة قضية التقليد، فالقوم يعتقدون أن الأصل في ديانتهم هي التعاليم الشفهية المتوارثة عبر التقليد الكنسي، وبالتالي أدخلوا التعاليم المكتوبة ضمن التقليد؛ ليتجاوزوا بذلك عقدة الحرج المتعلقة بانقطاع أسانيد كتبهم المقدسة، لكن التاريخ يشهد ومعه عبارات عقلائهم أن مشكلة معقدة قائمة تتعلق حتى بالمكتوب من حيث لغته، وتاريخ كتابته، بل وكاتبوه، فهل يسعف القول بالتقليد في حلٍّ تلك المعضلة؟ الجواب بالقطع: لا.

الخرافة لا التقليد:

إن كثيرا من المضامين طرأ على المحتوى الديني المسيحي عبر التاريخ بفعل الخرافة والأسطورة وأدخل ضمن إطار التقليد المقبول، وبالتالي أخذ صفة «الديني» بمجرد أن تبناه الآباء وقالوا به، وقد أشار «برت راند رسل» إلى فعل الخرافات والأساطير وتأثيرها حتى شكلت معتقدات يصعب الانفكاك من ربقتها، ففي كتابه: «الدين والعلم» وتحت عنوان «الطب وعلم الشياطين والجان» يصور لنا أثر الخرافة التي سادت في الأوساط المسيحية في العصور الوسطى عن طريق القديسين والتي صارت عقائد يصعب تكذيبها أو التخلص من أثرها، مثل أن الشياطين هم سبب كل الأمراض، وضرب لذلك بعض الأمثلة منها ما ساد من الاعتقاد عن طريق التقليد بأن عظام القديسين يُستشفى بها من الأمراض فقال: «وقد وجد الكثير من هذه الممارسات الدعم والتأييد من جانب الأناجيل وقام آباء الكنيسة بتطوير بقية النظرية التي استندت إليها مثل هذه الممارسات. أو أن تأييد هذه الممارسات كان النتاج الطبيعي لما اعتنقه هؤلاء الآباء من مذاهب، فقد ذهب القديس أوغطسين إلى أن جميع أمراض المسيحيين ترجع إلى هذه الشياطين،... وذهب جريجوري نازياتزن إلى أن الطب عديم الجدوى، ولكن وضع الأيدي المقدسة المباركة غالبا ما يشفي المريض، وقد عبر الآباء الآخرون

عن آراء مماثلة.

وفي العصور الوسطى زاد الاعتقاد بفاعلية بقايا القديسين وآثارهم، وهو اعتقاد لا يزال موجودا إلى يومنا هذا، وكان امتلاك الكنيسة لمخلفات القديسين ذات القيمة مصدر دخل لها وللمدينة التي توجد فيها هذه المخلفات »[1]. إن مثل هذه التأثيرات التي اقتحمت المسيحية من «خارج» شاعت وذاعت وأدرجت ضمن المضامين والمعتقدات الدينية المسيحية وكرس وجودها فيها « بالتقليد».

سادسا: التقليد تعتيم على المصادر الحقيقية للنصرانية:

يحاول التقليد أن يضفي الصبغة الدينية الموروثة عبر الأجيال على كل معتقدات وأعمال الكنيسة، نافياً أي تأثير خارجي في ذلك، بينما الحقيقة التي لا مفر منها أن المسيحية المعروفة الآن بكل مذاهبها ليست هي ديانة المسيح – عليه السلام –؛ نظرا للتغييرات الهائلة التي طرأت عليها بتأثيرات وثنية متعددة، حتى إننا لكي نفهم حقيقة المسيحية الآن يتحتم علينا الرجوع إلى دراسة الوثنيات القديمة ومعرفة أوجه العلاقة، بل العلاقات الوثيقة بينها وبين المسيحية.

لست أزعم ذلك ولا أدَّعيه من تلقاء نفسي، وإنما هي الحقيقة التي قررها مفكرون وعلماء أديان مسيحيون لكنهم منصفون تجردوا للحقائق بعيدا عن تأثيرات العصبية والتقليد.

يقول كل من «اندريه نايتون وإدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ» في كتابهم «الأصول الوثنية للمسيحية: « لم يعد يكفي دارس الأديان أن يشير إلى العلاقة الوثيقة بين الوثنية والمسيحية، بل ينبغي عليه القول: إننا لا نستطيع أن نفهم مسيحيتنا حق الفهم إذا لم نعرف جذورها الوثنية، فقد كان للوثنية حظ وافر في تطور الدين المسيحي، وهو قسط غير مباشر ولا منظور، وإذا صح أن لليهودية تأثيرا على المسيحية وكانت أساسا جوهريا للنظرة المسيحية، فإن علينا أن ننبه إلى أن اليهودية نفسها أصيبت بالتأثيرات الوثنية من فارس وبابل، وخضعت لنفوذهما عندما كان اليهود في المنفى.

---

(١) الدين والعلم، برتراند رسل (٧٧–٧٨)، ت: رمسيس عوض، ط دار الهلال، القاهرة. ١٩٩٧م.

غير أن هناك تأثيرا خاصا مباشرا أصاب المسيحية، هو جوهر موضوعنا. لقد كان للوثنية اليونانية والفارسية هيمنة على المسيحية، وكذلك كان للوثنية في عموم الشرق. هكذا تم تأليف دين جديد لُملمت أشتاته من هنا وهناك، وكان كمن يصب خمراً عتيقاً في جرار جديدة»[1]، وما ألحق بالأناجيل من رسائل وغيرها مما زعمت الكنيسة أن مُتلقًّى بالتقليد، والذي به أصبحت صورة أخرى حتى عن صورتها في الأناجيل المحرفة، يقول مؤرخ الأديان «آرنست رينان» عن هذه الملاحق والزيادات: « إن الدراسات التاريخية للمسيحية وأصولها تثبت أن كل ما ليس له أصل في الإنجيل مقتبس من أسرار الوثنية»[2].

وهذه العبارة تنسف أغلب مكونات المسيحية، وأكثر ما تقوم عليه؛ لأنه إنما ثبت بالتقليد بعيداً عن الإنجيل، وقد رده «رينان» إلى الوثنية.

إن القول بـ«التقليد» واعتماده أصلا حاكما على كل شيء في المسيحية ليعد في نظر الباحث غمامة على العيون والعقول والقلوب تحجب عنها المصادر الحقيقية للمضامين العقدية والممارسات العملية في المسيحية والتي هي أخلاط منقولة من هنا وهناك وبخاصة من المصادر الوثنية.

سابعا: التقليد سلطة إرهاب ديني وفكري:

إذا استعاد المسيحي نشاطه الذهني وعمله العقلي في لحظة ما، وسأل عن اللامعقولات الدينية في المسيحية، فإنه لا يجد جوابا من الكنيسة إلا القول« بالتقليد» وأن الأمور مسلمة من الرب جيلا بعد جيل، فيخمد الذهن مرة أخرى تحت هذا السلطان والإرهاب الفكري.

فعقيدة « التثليث» مثلا رغم كل محاولات الإقناع بها وإحاطتها بكم هائل من التأويلات إلا أن العقل لا يمكن أن يخمد نشاطه أمامها إلا بالهروب إلى الاعتقاد والتسليم بمفهوم التقليد، وإلا فإن الأمر كما قال الباحث الألماني د.ف.ستراوس:

---

(١) الأصول الوثنية للمسيحية، اندريه نايتون، وإدغار ويند، وكارل غوستاف يونغ (٢٠) ت: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
(٢) الأصول الوثنية للمسيحية (٢٠) السابق.

«الحقيقة أن كل من يعلن إيمانه بهذه العقيدة إنما يعلن تخليه عن كل قوانين التفكير البشري»[1]، ويعلق كارل وستاف يونغ على ذلك قائلا: « لا شك في أن الإنسان الوحيد القادر على مثل هذا القول هو الإنسان الذي نزع القداسة عن هذه الأفكار واستعاد نشاطه الذهني»[2]. ومثل هذا الكلام يمكن أن ينطبق على الكثير من معتقدات الكنيسة وممارساتها والتي لا يقابل المستوضح حقائقها إلا بكم هائل من اللوم يصل إلى الطرد والحرمان، ولم يبق للمؤمنين بالكنيسة أمام هذه اللامعقولات إلا «الإذعان للإيمان والإقلاع عن الفهم» حسب تعبير غوستاف يونغ، ومع أن الإيمان والتقليد هو الذي يفوز إلا أنه يُخلي مكانه للنقد. ذلك أن الإنسان المسيحي يخضع لسلطة دينية قدمت نفسها إليه بهالة كبيرة من القداسة جعلت ضميره لا يقبل مخالفتها أو مجرد التمرد عليها بالتفكير والنقد، فوقع من حيث لا يدري تحت سلطان الإرهاب الديني والفكري في حين يظن أنه مختار متعقل، وبهذا يكون «التقليد الكنسي» سلطة كبرى ترهب أبناء الكنيسة فيدخلون تحت اللامعقولات برضا هو في الحقيقة خضوع وضعف في العقل والتفكير، وتخلي عن كل قوانين التفكير البشري كما قال آنفا الألماني ستراوس.

(١) الأصول الوثنية للمسيحية (١١٥).
(٢)المرجع السابق.

نتائج البحث

١- لا تزال جوانب في المسيحية في حاجة إلى مزيد بحث من قبل الباحثين المسلمين، حيث تمثل هذه الجوانب مداخل علمية في فهم المسيحية، من هذه الجوانب قضية التقليد، وعلم الآباء «الباترولوجي»؛ لارتباطه ارتباطا وثيقا بالتقليد، وكذلك العلوم الكنسية التي بها يفسر النصارى ديانتهم.

٢- ليس هناك دليل واحد من الكتاب المقدس يدعو أتباعه إلى التقليد وتحكيم البشر في عقائد الناس وتدينهم، اللهم إلا زيادات بولس في رسائله، ولا يخفى على الباحثين في النصرانية من هو بولس، وما أثره في تحريف الديانة وتشويه معالمها.

٣- تشكلت المضامين الدينية المسيحية في كثير من جوانبها من مصادر متعددة كالوثنية واليهودية وأقوال الآباء، والقديسين، وقُبِلَ ذلك كله في إطار ديني أطلقوا عليه التقليد.

٤- لم يكن القول بالتقليد إلا محاولة من النصارى لإيجاد مخرج ما للمعضلات الدينية العقائدية التي يعاني منها معتقدهم الديني، من حيث المضمون والسند.

٥- لم تتفق كلمة النصارى في الاعتراف بقضية التقليد، إذ رآها الكاثوليك والأرثوذوكس حجة حاكمة، ورآها البروتستانت فرية كاذبة، وزيادة على الديانة باطلة.

٦- كثير من الأكاديميين اللاهوتيين في الغرب يناقش ويرفض فكرة التقليد، ويعتبرها مناقضة للحرية الدينية، والفكرية وأن القائل بها معطل لعمل العقل، هادم لقواعد المنطق والتفكير.

٧- للآباء والقديسين منزلة التشريع والزيادة والنقصان في المسيحية ويجب قبول كلامهم بحجة التسليم المنقول عبر الأجيال منذ المسيح.

٨- يركز النصارى كثيرا جدا في كتبهم ومواعظهم وأدبياتهم على التقليد وأهميته، وكأنهم يشعرون أن نسيان هذا الأمر وخلاص العقل والنفس من سلطانه كفيل بأن يزيل الغمة عن الإنسان المسيحي فيكون قريبا من الحقيقة عندما يطلق للعقل عنانه.

المصادر والمراجع

١- الكتاب المقدس (النسخة اليسوعية الكاثوليكية، النسخة الأرثوذوكسية).

٢- بحث في التقليد المقدس، شنودة ماهر إسحاق، د إميل ماهر، تقديم البابا شنودة، ط الخامسة، القاهرة ٢٠٠٠م.

٣- لسان العرب، ابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، بدون.

٤- التقليد، للقس إنجليوس جرجس، ط الثانية، مطبعة سانت ماري، ٢٠٠٣م، القاهرة.

٥- التقليد والأرثوذوكسية، للأب تادرس يعقوب ملطي، كتاب الكتروني، منشور قديما، ويدرس على طلاب الكلية الإكليريكية بمصر، بدون.

٦- اللاهوت المقارن، الأنبا شنودة، ط الثانية، مطبعة الأنبا رويس، ١٩٩٢م، القاهرة.

٧- التقليد الكنسي، للقمص زكريا بطرس، كتاب الكتروني، بدون.

٨- التقليد وأهميته في الإيمان المسيحي، للأب متى المسكين، ط الرابعة، مطبعة دير أنبا مقار، ٢٠٠٨م، مصر.

٩- مقال بعنوان (التقليد) للبطريرك اغناطيوس زكا الأول عيواص منشور بالشبكة العنكبوتية بموقع
http://www.peregabriel.net/saintamaria/node/2160.

١٠- مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، نقله إلى العربية المطران يوحنا منصور، ط ٢٠٠٦،٢٠٠٥م.

١١- حياة وفكر كنيسة الآباء، للقس اثناسيوس فهمي جورج، ط درا الكتاب المسيحي، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٢- هل الكتاب المقدس وحده يكفي كلمات حو التقليد المقدس، إعداد أسرة القديس ديديموس الضرير للدراسات الكنسية، ط الأولى، ٢٠٠٣م، كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس سبورتنج.

١٣- التقليد أو التسليم للأب جورج عطية، بحث منشور بمجلة التراث الأرثوذوكسي على الإنترنت تاريخ ٣١/١٢/ ٢٠١١م.

١٤- الروح القدس: رؤية كتابية وآبائية، الراهب هرمينا البرموسي، ط الأولى، مطبعة الدلتا، ٢٠٠٩م، القاهرة.
١٥- التقليد الكنسي ودوره في الكنيسة الجامعة، نشأت عطية عبدالله، ط الأولى، ١٩٨٨م، دار العالم العربي، القاهرة.
١٦- الدين والعلم، برتراند رسل، ت: رمسيس عوض، ط دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٧م.
١٧- الأصول الوثنية للمسيحية، اندريه نايتون وإدغارويند، وكارل غوستاف يونغ، ت: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية.
١٨- تعاليم الرسل..الدسقولية د: وليم سليمان قلادة (١-٣) ط الثانية، دار الثقافة القاهرة.
١٩- عصر المجامع القمص، كيرلس الأنطوني (٢٥) ط الأولى، مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٢٠- سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، نوفل بن نعمة الله جرجس بن نوفل (١٤٩-١٥٠) ط بيروت، ١٨٧٦م.